قسم اللغة العربية و آدابها

جامعة عنابة

–محاضرات في النص الأدبي القديم (نثر) لطلبة السنة الأولى. الأفواج : (1–4)

– إعداد : أ.د.سعد بوفلاقة

العام الجامعي: 1440–1441هـ الموافق : 2019–2020 م

أ.د سعد بوفلاقة

النثر الجاهلي :

1- معنى النثر :

النّثرُ لُغةً: رَميُ الشّيء متفرّقًا، وعكسه النظم، وهو الضم والتأليف، والنثر في الجاهلية: موسيقي كالشعر تتخلّله أحيانا جملٌ موزونة مسجعة يأْتي بِها البدويُّ دون تكلّف، وهو الكلام الذي لا يُتَقَّيد بوزن وقافية، وهو أساس الكلام وجلّه، ويُراد به ما عدا الشعر من كلام منمّق جميل، ويطلق عليه النثر الفني، تَمييزا له عن الكلام العادي، المنطوق والمكتوب الذي لا يعدُّ نثرا، ولا يجوز إدراجه في هذا المسَمَّى إلاّ إذا توخَّى فيه صاحبُه إتقان النّص والإبانة الفصحى[1]، قال ابن خلدون في تعريف النثر : « هو الكلام غير الموزون »[2]، وقد يطلق عليه اسم « المنثور » و« النثير » وضعوه إزاء المنظوم[3].

والنثر : هو الأصل في الكلام، ولم تتكلَّم العربُ أوّلاً إلا به[4]، فهو أسبق من الشعر، وَلَمْ يَصِلْ عن العرب القدماء إلاَّ القليل منه، وقد قيل « ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيّد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عُشْره، ولا ضاع من الموزون عشره »[5]. واختلف القدماء في فضيلته، وذهب معظمهم إلى أنه أفضل من الشعر، لأنَّ كتاب الله العزيز نثر[6].. وهو يراد به تغذية العقل، وأمَّا الشعر فيراد به تغذية الخيال والمشاعر.

2- أنواع النثر الفني :

أ- الأمثال الجاهلية :

تعريفها :

الأمثال، جمع مثل : وهي عبارة موجزة يتداولها الناس تتضمَّنُ فكرة صائبة في مجال الحياة البشرية وتقلباتِها، قيلت في حادثة معيّنة، ثم أطلقت على الحوادث المماثلة لها دون تغيير في لفظه، والمثلُ حكايةُ حدثٍ يتكرر بروحه ومغزاه، فيقاس اللاحق منه بالسابق، وللمثل مورد ومضرب : أمَّا المورد، فهو القصة أو الحادثة التي أطلق فيها

---

(1) د.محمد التونجي : المعجم الفصل في الأدب، ج2، ص : 849، دار الكتب العلمية، بيروت.

(2) ابن خلدون : المقدمة، ص : 566، دار المكشوف، بيروت.

(3) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) : البيان والتبيين (تح : عبد السلام هارون)، ج1، ص: 166 و179، القاهرة 1367 هـ 1948 م.

(4) الباقلاني (أبوبكر محمد بن الطيب): نكت الانتصار لنقل القرآن، ص:270، الأسكندرية،1971 م.

(5) ابن رشيق : العمدة، ج1، ص : 20.

(6) د. أحمد مطلوب : معجم مصطلحات النقد العربي القديم، ص:422، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، لبنان، 2001 م.

لأول مرة، وأمَّا المضرب، فهو الحال الذي نستخدمه فيه لمشابَهته لقصة المثل. وهذه جملة من أمثال العرب في العصر الجاهلي :

نَماذج من أمثال الجاهليين وشرحها[1]

1- **إنَّ البُغاثَ بأرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ**[2]: يُضرب للضعيف يصير قويا، وللذليل يعز بعد الذل.

2- **بلغَ السّيلُ الزُّبى**[3] : يضرب للأمر إذا جاوز الحد ولم يمكن احتماله.

3- **استنوقَ الْجَملُ**[4] : يضرب للرجل الذي يتصرف تصرف النساء.

4- **جَزاءُ سنّمار**[5] : يُضرب لمن يُجزَى على الإحسان بالإساءة.

5- **تَسْمَعَ بالمعيدي خيرٌ من أنْ تراه**[1] : يضرب لمن حسن صَيْتُه وقبح شكله.

6- **تفرَّقوا أيْدي سَبإ**[2] : يُضرب لمن تفرَّقوا أثر نكبة.

7- **إنَّ الهزيلَ إذا شَبِعَ مات** : يُضرَبُ لمن استغنى فتجبَّرَ.

8- **يَداكَ أوْكَتا وَفُوكَ نَفَخ**[3] : يُضرب لمن يرتكب الخطأ ويتحمل عاقبته.

9- **لا في العِيرِ وَلاَ في النَّفير**[4] : يُضربُ للرجل لا شأن له.

10- **كالمُستْجِيرِ من الرّمْضاءِ بالنار**[5] : يُضرب لمن فرَّ من بلية فوقع في أسوإ منها.

خصائص المثل :

---

(1) سنستعين بالميداني في كتابه : مجمع الأمثال، في شرح بعض هذه الأمثال، طبعة دار الفكر، بيروت، 1393 هـ1972 م.

(2) البغاث : ضرب من الطير، وفيه ثلاث لغات : الفتح، والضم، والكسر، والجمع : بِغْثان، قالوا : هو طير دون الرخَمَة، واستنسر: صار كالنّسر في القوة عند الصيد بعد أن كان من ضعاف الطير.

(3) الزُّبَى : الرّابية لا يعلوها ماء, فإذا بلغها السيل كان جارفًا مُجْحِفًا.

(4) استنوق : اعتبر ناقة.

(5) سِنِمّار : رجل روميّ بنى قصر الخورنق الذي بِظهر الكوفة للنعمان بن امرئ القيس، فلما فرغ منه ألقاه من أعلاه فَخرَّ ميتًا، وقد فعل ذلك لِئلاَّ يبني مثله لغيره، فضربت العرب به المثل لمن يجزى بالإحسان الإساءة.

(1) المعيدي: مغنٍّ حسنُ الصوتِ، أو شاعر مجيد، ذميم الوجه سمع به أمير فاستدعاه، فلما أبصره قال المثل.

(2) سبأ : قوم من عرب الجنوب بنوا السدود في اليمن، فلما خُرِبّتْ تفرّقوا..

(3) أوْكَتا : ربطتا. وفوك : فمك. وأصل المثل أنَّ قومًا أرادوا أن يعبروا خليجا، فجعلوا ينفخون أسقيتهم (أوعية الماء الجلدية)، ثم يعبرون عليها. فأقَلَّ رجلٌ منهم نفخ قربته، وأضعف الرّبْطَ، فلما توسط الخليج (الماء)، جعلت الرّيح تخرج من السقاء حتّى لم يبق فيه شيء، وغشيه الموج فنادى رَجُلاً من أصحابه: يا (فلان) إنّي هلكت ! فقال له الرجل: وما ذنبي ؟ « يَدَاك أوْكَتَا وفُوك نفخ»

(4) العير : الإبل. والنفير : الدعوة إلى الحرب، أي : لا بين الرعاة ولا بين المقاتلين، أي : ليس في مكان معروف.

(5) الرمضاء : الأرض الحارة.

(6) الميداني : مجمع الأمثال، ج1، ص : 6.

أمَّا خصائص المثل، فلخّصها إبراهيم النظام في أربع خصائص، فقال :

« يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام، وهي : إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجَودة الكناية، فهو نهاية البلاغة »[6].

مصادره :

أمَّا مصادر المثل، فهو الشعب، إذ لا يمكن أن نرجع جميع الأمثال السائرة إلى أشخاص معينين، فجميع أفراد الشعب يمكن أن يسهموا في صوغها، على اختلاف مستوياتِهم العقلية والاجتماعية. وقد نسبت إلى لقمان الحكيم أمثال كثيرة جمعت في كتاب اسمه (أمثال لقمان) والكتاب ركيك الأسلوب، مبتذل اللفظ كثير الخطأ، وقد اختلف الناس في أصل لقمان، وزمن ظهوره وصحة ما نُسب إليه[1].

ب- الحكم الجاهلية :

تعريفها :

الحكمة عبارة تنطوي على فكرة صائبة في ناحية من نواحي الحياة، موجزة، موافقة للحق والعدل، وتتصف بالوضوح في الغاية، وهي توجيه الناس إلى السلوك الحسن، والإيجاز في التعبير، والمتانة في التركيب، وأكثر ما تصدر عن حكماء القوم، وذوي الخبرة فيهم، وهي كالأمثال ترد مبثوثة ومتفرقة في فنون الأدب الأخرى، منظومها ومَنْثورها[2].

وتختلف عن المثل بكون الحكمة أرقى فَنا من المثل لأن أصحابِها أرقى ثقافة ولغة من سائر أفراد الشعب، والحكمة أقل دلالة على عقلية الشعب من المثل لأنَّها تنبثق عن فئة قليلة مِنْه فقط بعكس المثل الذي يصدر عن مجموع الشعب، وتختلف عنه كذلك في أنّها ليس لها مورد ومضرب.

وقد اشتهر العرب بالحكمة في الجاهلية، وتمثّلت عندهم بحكم عديّ بن زيد، وأمية بن أبي الصَّلت، وورقة بن نوفل، وقَسُّ بن ساعدة الأيادي، وغيرهم[3].

مصادرها :

أمَّا الحكم فمعروفة المصادر والمنابع، فمصدرها : الحكماء أو المفكرون، أو الأدباء المشهورون[4]. ولا تخصّ الحكمة النثر دون الشعر، وإنما ترد بِهما مَعًا...

نماذج من حكم الجاهليين[1] :

---

(1) على بوملح : في الأدب وفنونه، ص : 176 – 177.

(2) د.كمال اليازجي: الأساليب الأدبية في النثر العربي القديم، ص: 13، دار الجيل، بيروت، 1986م

(3) د.محمد التونجي : المصدر السابق، ج1، ص : 376.

(4) علي بوملح : المرجع السابق، ص 179.

1- **ما حَكَّ جلدَكَ مثل ظفْرك** : أي أنت أولى من يخدم نفسه.

2- **أعْطِ القوسَ بارِيها** : باري القوس : صاحبها. اعتمد في الأمر على الخبير به، أي المختص.

3- **إيّاكَ وخضراءَ الدِّمَنِ** : خضراء الدّمن : العشب النابت في قاذورة، كناية عن المرأة الجميلة في منْبَت السوء. وهناك حديث نبوي شريف في هذا المعنى.

4- **آخرُ الدّاء الكَيُّ** : أي عليك بالعلاج الحاسم.

5- **الرّفيقُ قبلَ الطريقِ، والجارُ قبلَ الدّارِ** : أي اعتبر القريب بالروح قبل القريب بالدار، ويعني كذلك : الحذر من المخاطر قبل وقوعها.

ج- الوصايا الجاهلية :

تعريفها :

الوصايا، جمع وصية : وهي كل نصيحة وإرشاد يوجّهه المحتضر في حال مرضه لأبنائه، أو غيرهم، وهي أيضا : لون من الكلام فيه توجيه أو إبلاغ، وفنّ من فنون النثر في العصر الجاهلي « وتتميز بطول الجملة، ووضوحها، وميل إلى السجع، ولكنّه أقل من وعظ الكهان، والوصية في العصر الجاهلي تُلقى إلقاءً، ولا تُكتب على الرّق. وأغلب موضوعاتِها في العظة من أبٍ إلى ابنه، أو من أمٍّ إلى ابنتها »[2].

المشهورون بالوصايا :

ومن المشهورين بالوصايا في الجاهلية : زهير بن جناب، وأكثم بن صيفي، وذو الأصبع الْعَدواني، وأمامة بنت الحارث وغيرهم.

نموذج من وصايا الجاهليين :

ولعلّ من أشهر ما حفظ لنا التاريخ من الوصايا وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أمّ إياس حين زُفّت إلى زوجها، فقالت لها :

أي بُنَيَّةُ، إن الوصيَّةَ لو تُرِكَت لفَضْلِ أَدَبٍ تُرِكَت لِذلك مِنكِ، ولكنّها تَذكِرَةٌ للغافِلِ، ومَعُونَةٌ للعاقلِ، ولو أنَّ امْرَأةً استَغْنَتْ عن الزوج لِغنى أَبَوَيْها، وشدَّةِ حاجَتِهما إليها كنتِ أغنى النَّاس عنهُ، ولكنَّ النساء للرجال خُلِقْنَ، ولَهُنَّ خُلق الرجالُ.

---

(1) استقينا هذه الحكم من كتاب: د.كمال اليازجي: الأساليب الأدبية في النثر العربي القديم، ص:13.

(2) د. محمد التونجي : المصدر السابق، ج2، ص : 885.

أي بُنَيَّةُ، إنَّكِ فارقْتِ الجوَّ الذِي مِنْهُ خَرَجْتِ، وخَلَّفْتِ الْعُشَّ الذِي فِيهِ دَرَجْتِ، إلى وَكْرٍ لَمْ تَعْرِفِيهِ، وقَرين لَمْ تَأْلِفِيهِ، فأصْبَحَ بِملْكِه عَلَيْكِ رقيبًا ومَليكًا فكوني لَهُ اَمَةً يكُنْ لَكِ عَبْدًا وَشيكًا.

يا بُنيَّةُ، احملي عنِّي عشرَ خصالٍ تكُن لك ذُخْرًا وذِكراً : الصُّحبةُ بالقناعةِ، والمعاشَرةُ بحُسنِ السَّمع والطاعة. والتَّعهُّدُ لموقع عينهِ. والتفقُّدُ لموضع أنفه. فلا تقعُ عينهُ منك على قَبيح، ولا يَشمُّ منكِ إلاّ أطيبَ ريح، والكُحلُ أحسنُ الكحلِ. والماءُ أطيبُ المفقود. والتعهُّدُ لوقت طعامِه. والهُدُوُّ عنه عندَ منامه فإنَّ حرارة الجُوع مَلْهبةٌ، وتنغِيصَ النّوم مَغْضبَةٌ. والاحتفاظُ بِبيتِهِ ومالِهِ، والإرعاءُ على نَفسِهِ وحشمِه وعياله، فإنَّ الاحتفاظ بالمال حُسنُ التقديرِ، والإرعاءُ على العيالِ والحشمِ جميل حسنِ التدبير. ولاتُفشي له سرًّا ولا تَعصي له أمْرًا، فإنك إن أفْشيْتِ سرَّه لم تأْمَني غدره، وإنْ عَصَيتَ أمْره أَوْغرتِ صدرَه. ثم اتَّقِي مع ذلك الفرحَ أمامه إن كان تَرِحًا، والاكتئاب عنده إن كان فرِحًا، فإن الخَصلةَ الأولى من التقصير، والثانيةَ من التكدير. وكُوني أشدَّ ما تكونين له إعظامًا، يَكُنْ أشَدَّ ما يكونُ لك إكرامًا، وأشدَّ ما تكونين له مُوافقةً، يَكُنْ أطولَ ما يكونُ لكِ مرافقةً. واعلمي أنَّك لا تَصِلين إلى ما تُحبيّن حتّى تؤثري رضاه عَلَى رضائِك وهواهُ عَلَى هَواكِ فيما أحْبَبْتِ وكرهت، والله يُخيرُ لكِ.

د– الْخَطابةُ الجاهلية :

تعريفها :

اشتُقَّت لفظةُ الخطابة من الخَطْبِ أي : الأمر الجلل, لأنَّ الخَطابة تَقْوَى إبَّان الخطوب بين القبائل، وهي نَوْعٌ من النّثرِ الفَنِّي يُرادُ به إقناع السامع بما يريده الخطيب، وهي فنُّ إقناع السامعين والتأثير فيهم بشرط أن يكون الكلامُ مطابقا لمقتضى الحال، أي : موافقًا للزّمان والمكان والبيئة الاجتماعية ومستوى الحياة العقلية للجماهير.

دواعيها :

وقد كثرت الخطابة في العصر الجاهلي لكثرة دواعيها، فقد كان العربي يلجأ إليها للمفاخرة والمنافرة، وللدّفاع عن نفسه وعن قبيلته وقومه، وإصلاح ذات البين، أو إشعال نار الحرب وإثارة الحمية والحض على القتال والثأر، وللسّفارة بين رؤساء القبائل، وإلى الملوك كما احتاجوا إليها في خُطب الزواج، والتهنئة، والمواعظ. وأكثر ما كانت تقال في المواسم والمجامع والأسواق[1]...

أشهر الخطباء في الجاهلية :

(1) محمد الطيب وإبراهيم عبد الرحيم : تاريخ الأدب والنصوص الأدبية، ص : 93. ود. محمد التونجي : المصدر السابق، ج1، ص : 403.

ومن أشهر الخطباء في الجاهلية : قس بن ساعدة الأيادي خطيب عكاظ، وعمرو بن معدي كَرِب الزبيدي، وقيس بن خارجة بن سنان خطيب داحس والغبراء، وخويلد بن عمرو خطيب يوم الفجار، وعمرو بن كلثوم التغلبي، وأكثم بن صَيْفي التميمي، وقيس بن زهير العبسي، وغيرهم...

نموذج من خطب الجاهليين :

خطبة قس بن ساعدة الأيادي بِسوق عكاظ :

كان قيس بن ساعدة الأيادي خطيب العرب كافة، وقد ضُرب به المثل في الحكمة والبلاغة والموعظة، وكان يؤمن بالبعث، ويدين بالتوحيد، ويدعو الناس إلى نبذ عبادة الأصنام، وتوحيد الله بالعبادة، ويقال: إنّه أوّل من قال أمّا بعد، وأوّلُ من اتكأ على سيف أو عصا في خطبه، وكان الناس يتحاكمون إليه، وهو أول من قال: «البيّنَةُ على من ادّعى، واليمين على مَنْ أنكر»، وعمّر قس طويلا ومات قبل البعثة أي حوالي سنة 600م[1].

ومن خطبه الجيدة خطبته التي ألقاها في سوق عكاظ، وهي :

« أيُّهَا النَّاسُ ! اسْمَعُوا وَعُوا.. مَنْ عَاشَ مَاتَ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ، وَكُلُّ ما هُو آت آتٍ، لَيلٌ داجٍ[2] ونَهارٌ سَاجٍ[3] وَسَمَاءٌ ذَاتُ أبْرَاجٍ[4] ونُجومٌ تَزْهَرُ[5] وجِبالٌ مُرسَاةٌ وأرْضٌ مُدْحَاةٌ[6] وأنْهَارٌ مُجْرَاةٌ، إنَّ في السَّمَاءِ لخَبرًا[7] وإنَّ في الأرضِ لَعِبَرًا، مَا بَالُ النَّاسِ يَذْهَبُونُ وَلاَ يَرْجِعُونَ ؟ أَرَضُوا فَأَقَامُوا أمْ تُرِكُوا فَنَامُوا ؟.. يُقْسِمُ قُسُّ بِالله قَسَمًا لاَ إِثْمَ فِيهِ، أَنَّ للهِ دِينًا هُوَ أَرْضَى لَكُمْ وأَفْضَلُ مِنْ دِينُكُم الذِّي أنْتُم عَلَيهِ، إنَّكم لَتأْتُونَ مِنَ الأَمْرِ مُنْكَرًا.

ثم أنشأ بعد ذلك يقول :

في الذَّاهِبينَ الأَوَّلِينَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرْ
لَمَّا رَأيتُ مَوَارِداً لِلمَوتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرْ
ورَأَيْتَ قَومِي نَحْوَهَا تَمْضِي الأَكَابِرُ والصَّغَائِرْ
لاَ يَرْجِعُ الْمَاضِي إِلَيَّ وَلاَ مِنَ الْبَاقِينَ غَابِرْ
أيْقَنْتُ أنِّيَ لاَ مَحَا لَةَ حَيثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرْ »

---

(1) محمد الطيب وإبراهيم عبد الرحيم : المرجع السابق، ص : 93.

(2) داج : مظلم

(3) ساجٍ : ساكن

(4) الأبراج واحد الابراج التي تقابلها الشمس في طريقها طول السنة.

(5) تزهر : تضيء وتتلألأ.

(6) مدحاة : مدحوة مبسوطة.

(7) لخبراً : الدليل على خالق عظيم.

هـ سجع الكُهّان :

تعريفه :

كانت في الجاهلية طائفةٌ تدّعي أنّها تعلم الغيب، وتعرف ما يأتي به الغد، وتزعمُ أنَّ توابعها من الجن هم الذين يوصلون إليها المعلومات، والكُهّان : جمع مفردهُ كاهن، وتابعه اسمه « الرِّئيُّ » وتأتي قدسّيتُهم من كون أغلبهم يخدمون بيوت الأصنام، وكان بعض الناس يتجهون إليهم يُحَكِّمونَهم في المنازعات، والمنافرات، ويستشيرونَهم في أمورهم وبخاصة المستقبلة، ويقصُّون عليهم أحلامهم لكي يفسروها لهم، وأحيانًا كان الكُهّان يُنذرون بعض القوم بأحداث تقع لهم. ولم تكن الكهانة مقصورة على الرجال، بل كان هناك نساء كاهنات كذلك.

أشهر الكهان :

« شِقّ أنمار »، وتحكى عنه الأساطير عن خلقته وأنَّه كان نصف إنسان له عينٌ واحدةٌ ويدٌ واحدة ورجلٌ واحدة. ومنهم « سَطيح الذِّئبي »، ويقولون عنه : إنّه لم يكن فيه عظم سوى جمجمته، وإنَّ وجهه كان في صدره، ولم يكن له عنقٌ، ولعلّهُ كان أحدب، ويزعمون أنّ هذين الكاهنين عاشا بضعة قرون، إلى غير ذلك من الأوهام.

ومنهم : « خنافر الحميري » و« عوف بن ربيعة الأسدي » و« سواد بن قارب الدوسي » و« سلمة الخزاعي » و غيرهم...

أمَّا الكواهن من النساء فإنّهنّ كثيرات منهن : « زرقاء اليمامة »، و« طريفة كاهنة اليمن »، وهي أقدمهن وإليها ينسبون الإنذار بخراب سد مأرب وإتيان سيل العرم، و« الكاهنة السعدية »، وكاهنة « ذي الخُلَصَة »، و « الشعثاء »، وغيرهن.

وظلت الكهانة في العرب حتى جاء الإسلام، فأبطلها، قال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم : « لا كهانة بعد النبوة ».

وكان للكهان عند العرب لغة خاصة تمتاز بتسجيع خصوصي يعرف بسجع الكهان، « وهو يصنعون ألفاظًا غير مفهومة، سجعا إيقاعيًّا، عامِضًا، بحيث يحتمل التأويل.. »[1].

---

(1) د. محمد التونجي : المصدر السابق، ج2 ص : 729. وأُنظر د.شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص: 38-39. وجرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، مج1، ص: 182-183.

(2) الحانب : حَنَبَ يَحْنَبُ حَنَبًا الشيخ : تقوَّسَ وانْحَنَى واحْدَوْدبَ.

(3) السّنابك : أطراف حوافر الخيل، فهو يجهدها في ساحة الحرب كناية عن شدة بأسه.

(4) المِعْجَمة : من عجم العود إذا عضّيه ليختبر صلابته.

(5) المِشْتَمَة : لا يفعل ما يستحق عليه الشتم.

(6) الجَمْحَمَة : إخفاء الشيء في الصّدْرِ غدرًا.

نموذج من سجع كواهن العرب في الجاهلية :

من سجع الشعثاء :

يروى من سجع « الشعثاء »، وهي من كواهن العرب في الجاهلية أن فتاة حسناء قصد بابها سبعة إخوة يخطبونَها إلى أبيها، فرحّب بِهم، وقالوا له : بلغنا أنَّ لك بنتًا، ونحن كما ترى شباب، وكلنا يمنع الحانب[2]، ويمنح الراغب، فقال أبوها : أخبروني عن أفضلكم، فردت كاهنتهم الشعثاء :

اسْمَعْ أُخبرك عنهم : هم إخوة، وكلهم أسوة، أما الكبير فمالك، جرئ فاتك، يُتْعِبُ السّنابِك[3]، ويستصغر المهالك. وأما الذي يليه فالغَمْر، بَحْر غَمْر، يَقْصُر دونه الفخر، نَهْدٌ صَقْر. وأمَّا الذي يليه فَعَلْقَمة، صليبُ المِعْجَمة[4]، منيعٌ المِشْتَمة[5]، قليل الجَمْجَمة[6]. وأما الذي يليه فعاصم، سيّدٌ ناعم، جَلْدٌ صارم، أبِيٌّ حازم، جَيشُه غانم، وجارُه سالم. وأما الذي يليه فثواب، سريع الجواب، عتيد الصواب، كريم النِّصاب[7]، كَلَيْث الغاب. وأما الذي يليه فَمُدْرِك، بَذولٌ لما يَمْلِك، عَزُوبٌ عمّا يَتْرُك، يُفْنِي ويُهْلِك. وأما الذي يليه، فَجَنْدَل، لِقرنِه مُجَدِّل، مُقِلٌّ لما يحمل، يُعطي ويَبْذُل، وعن عدوِّه لا يَنْكُل[8].

خصائص النّثر الجاهلي :

كان للجاهليين، كما رأينا أنواع من النثر الفني يتحدثون به في إصلاح شؤون المعاش، واجتلاب ضروب المصالح والمنافع، وهو يدور في مجمله على الأمثال والحكم، وعلى الخطب والوصايا، وسجع الكُهّان، ومن خصائص النثر الجاهلي أنّه كثير الفواصل والموازنة. وللْحِكَم والأمثال خَصائص تتعلق بالمعاني والأساليب، أمّا الأمثال فهي جمل قصيرة وجيزة تدل على صحة الرأي وصدق الاختبار « ومع أنّ المثل قولٌ حكيمٌ على كلّ حال، فإنّه غير الحكمة. إنّ الحكمة قول صائب في حال مخصوصة، بينما المثل قول مواقف للواقع يعمل الإنسان به »[1].

وقد أوجز خصائص الأمثال إبراهيم النظام، فقال : « يجتمع في المثل أربعة لا يجتمع في غيره من الكلام : إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحُسْن التشبيه، وجَودة الكناية، فهو نهاية البلاغة »[2]. ويشترط في المثل ألاّ يتغير بل يُجْرى كما جاء على الألسنة، فهو لا يقبل التغيير وإن خالف قواعد النحو والصرف، فقد جاء في أمثالهم « أعطِ القوس باريها »[3] بتسكين الياء في باريها والأصل فتحها.

---

(7) النّصاَبُ : الأصل.

(8) الميداني : مجمع الأمثال، ج1، ص 91.

(1) د.عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي، ج1، ص : 89.

(2) الميداني : مجمع الأمثال، ج1، ص : 6.

(3) أي استعن على عملك بأهل الحذق والمهارة والاختصاص.

(4) أبو هلال العسكري : جمهرة الأمثال على هامش مجمع الأمثال للميداني، ج1، ص : 168. اقتبسه د.شوقي ضيف : انظر كتابه الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص : 21.

كما نلاحظ أنَّ معاني بعض الأمثال مبهمةٌ غامضة حوشية لا يفهمها السامع أو القارئ إلا إذا رجع إلى كتب الأمثال يستعين بِها في شرح المراد منها، من ذلك قول العرب : « بِعَيْنٍ مَا أَرِينَّكَ »، فإنَّ معناه أسرِعْ، وهو معنى لا يفهم في اللفظ بتاتًا، وقد علّق أبو هلال العسكري بِقوله : « هو من الكلام الذي عُرِفَ معناه سماعًا من غير أن يدلَّ عليه لفظه »[4].

وأما خصائص الخطابة والوصايا في العصر الجاهلي، فكل منهما يراد به جملة من القول قصد الترغيب فيما ينفع، والتنفير مما يضر، والفرق بينهما أنَّ الخطب تُقال في المجامع والمحافل، والأيام والمواسم. وأمَّا الوصايا : فإنَّها كثيرًا ما تصدر من شخص لعشيرته أو سيّد لقبيلته عند نزول أمرٍ مَا. أو عند حلول مرض وما شاكل ذلك[1].

وقد أكثر الجاهليون من

الأمثال والحكم في خطبهم ووصاياهم، وتمتاز خطبهم ووصاياهم بِمَا يأتي :

1- غَلبة السّجع والمحسنات البديعية والزخارف اللفظية عليهما.
2- جزالة ألفاظهما وتراكيبهما.
3- الإيجاز في التعبير.
4- قلة العناية بتهذيب الكلام وتَنْقِيحه.
5- عدم مراعاة التسلسل المنطقي في الأفكار مما لا تقوى عليه العقلية البدوية، لأن بعض الخطب والوصية تأتي متعددة الأغراض.
6- قِصر الخطب والوصايَا : لم تكن الخطب والوصايا طويلة، فكثيرا ما كانت الخطبة والوصايا لا تتجاوز فقرتين أو ثلاث فقرات قصار.

وأمَّا الخصائص العامة لسجع الكهان التي يمكن أن نستنبطها من خلال النصوص الكثيرة التي وصلتنا من سجعهم، فهي كالآتي :

7- كانوا يعمدون في السجع إلى الألفاظ الوحشية المبهمة حتى يتركوا فرصة للسامعين كي يؤوّلوا ما يسمعونه، ومن ثم فقد دخل الرّمز في كثير من أقوالهم. كما يلاحظ أن الكهان كانوا يعتمدون في كهانتهم على السجع وكثرة الأقسام.والإيمان بالكواكب والنجوم والرياح والسحب والليل الداجي والصبح المنير، والأشجار والبحار وكثير من الطير[2].

ومهما يكن من أمر فإن هذه أهم خصائص النثر في العصر الجاهلي، ولعل في ذلك كله ما يدل على أنَّ الجاهليين عَنُوا بنثرهم كما عنُوا بشعرهم[1].

---

(1) محمد الطيب.. وإبراهيم عبد الرحيم : المرجع السابق، ص : 21.
(2) د. شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، ص : 423.
(1) د. شوقي ضيف : المرجع السابق، ص : 423.

أ. د سعد بو فلاقة